

تفسیر الطبرک

جامع البیان عز، وجوه تأویل آی القرآن

الجزء الأول

فيه

رسالة التفسير
وتفسير فاتحة الكتاب
وتفسير سورة البقرة
من ١ - ٤٣
والآثار من ١ - ٨٣٩

تفسير الطبرك



لسمائة الرحمن الرحيم

لرحمة رب العالمين

الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ •
والحمد لله الذى خلق السموات والأرضَ وجعل الظلمات والنورَ .
والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ، ولم يجعلْ له عِوَجًا .
والحمد لله الذى له ما فى السموات والأرضِ ، وله الحمد فى الآخرة ،
وهو الحكيمُ الخبيرُ .
والحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ ، رسول الله وخيرته
من خلقه ، خاتم النبيين ، وأشرف المرسلين .
وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .
« فصلَّى الله على نبيِّنا كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره
الغافلون . وصلى الله عليه فى الأولين والآخرين . أفضلَ وأكثرَ وأزكى'
ما صلَّى على أحدٍ من خلقه . وزكَّانا وإياكم بالصلاة عليه ، أفضلَ
ما زكَّى' أحدًا من أمته بصلاته عليه ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته »^(١) .

(١) اقتباس من كلام الشافعى ، فى كتابه (الرسالة) ، رقم ٣٩ ، بتحقيقنا .

أما بعد :

فإن هذا التفسير الجليل ، باكورة عمل عظيم ، تقوم به ﴿ دار المعارف بمصر ﴾ ، لإحياء ﴿ تراث الإسلام ﴾ ، وإخراج نفائس الكنوز . التي بقيت لنا من آثار سلفنا الصالح ، وعلماؤنا الأفاضل . الذين خدموا دينهم ، وعُنُوا بكتاب ربهم ، وستة نبيهم ، وحفظ لغتهم ، بما لم تصنعه أمة من الأمم ، ولم يبلغ غيرهم معشار ما وقفهم الله إليه .

فكان أول ما اخترنا ، باكورة لهذا المشروع الخطير : كتاب ﴿ تفسير الطبري ﴾ . وما بي من حاجة لبيان قيمته العلمية ، وما فيه من مزايا يندر أن توجد في تفسير غيره . وهو أعظم تفسير رأيناه ، وأعلاه وأثمنه . استحقّ به مؤلفه الحجة أن يسمى (إمام المفسرين) .

وكنت أخشى الإقدام على الاضطلاع بإخراجه وأعظمه ، عن علم بما يكتشف ذلك من صعوبات ، وما يقوم دونه من عقبات ، وعن خبرة بالكتاب دهرًا طويلًا : أربعين سنة أو تزيد .

لولا أن قوّى من عزمي ، وشدّ من أزرى ، أخي الأصغر ، الأستاذ محمود محمد شاكر . وهو — فيما أعلم — خير من يستطيع أن يحمل هذا العبء ، وأن يقوم بهذا العمل حقّ القيام ، أو قريباً من ذلك . لا أعرف أحداً غيره له أهلاً .

وما أريد أن أشهد لأخي أو أثنى عليه . ولكنني أقرّ بما أعلم ، وأشهد بما أستيقن .

وقد أبى أخى السيد محمود إلا أن يُلقَى على بعض العيب ، بالتعاون
معه فى مراجعة الكتاب ، وبتخريج أحاديثه ، ودَرس أسانيده . وهذا
— وحده — عملٌ فوقَ مقدورى . ولكنتى لم أستطع التخلّى عنه ،
فقبلتُ وعملتُ ، متوكلاً على الله ، مستعيناً به .

وأسأل الله سبحانه الهدى والسداد ، والرعاية والتوفيق . إنه سميع
الذم .

كتبه
أحمد محمد شكر
عفا الله عنه بمنه

القاهرة يوم الجمعة ٤ جادى الآخرة سنة ١٣٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا .
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرَهُ تَقْدِيرًا . وَاتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا . وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ
قَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَلَمْ نَكْتَبِهَا فِيهِ
تَنْزِيلًا عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

﴿ قُلْ لَيْسَ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا
الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

والحمد لله الذي أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين

الْحَقُّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ . ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقَدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . هُوَ الَّذِي
بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَآخِرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿

• • •

اللَّهُمَّ إِنَّا نَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَقُوَّةٍ ، وَنَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ ،
وَنَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ ، فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَتَبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ .

• • •

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَافِينَ لَكَ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذْتَ عَلَيْنَا :
أَنْ نَكُونَ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا صِرَاطَكَ
الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ،
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّكَ أَنْتَ الْجَبَّارُ الَّذِي خَضَعْتَ
لِجَبْرُوتِهِ الْجَبَّارَةِ ، وَالْعَزِيزُ الَّذِي ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ الْمُلُوكُ الْأَعْزَى ، وَخَشَعْتَ
لِمَهَابَةِ سَطْوَتِهِ ذُرُومَ الْمَهَابَةِ ، فَلَمْ يُرْهِبْهُمْ بِنِعْمِ بَاغِرٍ وَلَا ظَلَمِ سَفَاحِ ظَلَمٍ :
﴿يَبْتِئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ . ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ

غَافِلًا عَمَّا يَمَلُّ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ .
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَالٍ ﴿

•••

اللَّهُم اغفر لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وتمدده برحمتك ،
واجعله من السابقين المقربين في جنات النعيم ، فقد كان — ما علمنا —
من الذين بينوا كتابك للناس ولم يكتموه ، ولم يشترؤا به تمناً قليلاً
من متاع هذه الحياة الدنيا ؛ ومن الذين أدوا ما لزمهم من حَقِّك ،
وذادوا عن سنة نبيك ؛ ومن الذين ورثوا الخلفَ من بعدهم علم ما علموا ،
وحلَّوهم أمانة ما حلَّوا ، وخلَّووا لك الأنفادَ ، وكفَّروا بالطاغوتِ ،
ونَضَّحوا عن دينك ، وذَبُّوا عن شريعتك ، وأفضوا إليك ربنا وهم
بميثاقك آخضون ، وعلى عهدك محافظون ، يرجون رَحمتَكَ ويخافون عذابَكَ .
فاعفُ اللَّهُمَّ عنا وعنهم ، واغفر لنا ولهم ، وارحنا وارحمهم ، أنت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين .

•••

كان أبو جعفر رضى الله عنه يقول : « إني لأعجبُ ممن قرأ القرآن
ولم يعلم تأويله ، كيف يلتذُّ بقراءته ؟ » . ومنذ هداني الله إلى الاشتغال
بطلب العلم ، وأنا أصاحب أبا جعفر في كتابيه : كتاب التفسير ، وكتاب
التاريخ . قرأتُ تفسيره صغيراً وكبيراً ، وما قرأته مرَّةً إلا وأنا أسمعُ
صوته يتخطى إلى القرون : إني لأعجب من قرأ القرآن ولم يعلم تأويله ،
كيف يلتذُّ بقراءته ؟ فكنتُ أجِدُ في تفسيره مصداقَ قوله رضى الله

عنه . بيد أنى كنتُ أجدُ من المشقة في قراءته ما أجد .
كان يستوفنى في القراءة ، كثرةُ القُصول في عبارته ، وتباعُد أطراف
الجمل . فلا يسلم لى المعنى حتى أعيد قراءة الفقرة منه مرتين أو ثلاثاً .
وكان سبب ذلك أننا ألقنا نهجاً من العبارة غير الذى اتهج أبو جعفر ،
ولكن تبين لى أيضاً أن قليلاً من الترقيم فى الكتاب ، خليقٌ أن يجعل
عبارته أبين . فلما فعلتُ ذلك فى أنحاء متفرقة من نسختى ، وعدتُ
بعدُ إلى قراءتها ، وجدتها قد ذهب عنها ما كنتُ أجد من المشقة . ولما
راجعتُ كتب التفسير ، وجدتُ بعضهم ينقلُ عنه ، فينسبُ إليه ما لم
أجده فى كتابه ، فتبين لى أن سبب ذلك هو هذه الجمل التى شقت
على قراءتها . يقرؤها القارى ، فربما أخطأ مرادُ أبى جعفر ، وربما
أصاب . فتمنيتُ يومئذٍ أن ينشر هذا الكتاب الجليلُ نشرةً صحيحة
محققة مرقمةً ، حتى تسهل قراءتها على طالب العلم ، وحتى تجنبه كثيراً
من الزلل فى فهم مراد أبى جعفر .

ولكن تبين لى على الزمن أن ما طبع من تفسير أبى جعفر ، كان فيه
خطأ كثيرٌ وتصحيفٌ وتحريف ، ولما راجعتُ التفسير القديمة التى تنقلُ
عنه ، وجدتهم يتخطون بعض هذه العبارات المصحفة أو المحرفة ، فعلمتُ
أن التصحيف قديم فى النسخ المخطوطة . ولا غرو ، فهو كتابٌ ضخماً
لا يكادُ يسلمُ كل الصواب لناسخه . وكان للذين طبعوه عنزٌ قائمٌ ، وهو
سقم مخطوطاته التى سلت من الضياع ، وضخامة الكتاب ، واحتياجه
إلى مراجعة مئات من الكتب ، مع الصبر على المشقة والبصر بمواضع

اتَلَلَّ . فَأَضْرَتُ فِي نَفْسِي أَنْ أُشْرَ هَذَا الْكِتَابَ ، حَتَّى أُوْدَى بَعْضُ
حَقِّ اللَّهِ عَلَيَّ ، وَأَشْكُرُ بِهِ نِعْمَةَ أَنْالِهَا — أَنَا لَهَا غَيْرُ مُسْتَحَقٍّ — مِنْ
رَبِّ لَا يُؤَدِّي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ شُكْرَ نِعْمَةٍ مَاضِيَةٍ مِنْ نِعْمِهِ ، إِلَّا بِنِعْمَةٍ
مِنْهُ حَادِثَةٍ تُوَجِّبُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِيَ شُكْرَهَا ، هِيَ إِقْدَارُهُ عَلَى شُكْرِ النِّعْمَةِ
الَّتِي سَلَفَتْ ؛ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَتَصَرَّمَ الزَّمَنَ ، وَتَفَانَتِ الْأَيَّامُ ، وَأَنَا مُسْتَهْلِكٌ فِيهَا لَا يُغْنِي عَنِّي
شَيْئًا يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . حَتَّى أُيَقْظَنِي عَدْوَانُ الْعَادِينَ ،
وِظْمُ الظَّالِمِينَ ، وَطُغْيَانُ الْجَبَابِرَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ ، فَفَقَدْتُ الْعِزَّمَ عَلَى طَبْعِ هَذَا
التفسير الإمام ، أَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ .

وَأَفْضَيْتُ بِمَا فِي نَفْسِي إِلَى أَخِي الْأَكْبَرِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ شَاكِرٍ
— أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ ، وَأَقْبَسَنِي مِنْ عِلْمِهِ — فَرَأَى أَنْ تَنْشُرَهُ
« دَارُ الْمَعَارِفِ » ، بِأَكُورَةَ أَعْمَالِهَا فِي نَشْرِ « تَرَاثِ الْإِسْلَامِ » . وَلَمْ
يَمُضْ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى أَعَدَّتْ الدَّارُ عُدَّتَهَا لِنَشْرِ هَذَا الْكِتَابِ الضَّخْمِ ،
مَشْكُورَةً عَلَى مَا بَدَلْتَهُ فِي إِحْيَاءِ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ .

وَكُنْتُ أَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ فِي نَشْرِ هَذَا الْكِتَابِ مِشْرَاكَةً بَيْنِي
وَبَيْنَ أَخِي فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ ، وَلَكِنْ حَالَتْ دُونِ ذَلِكَ كَثْرَةُ عَمَلِهِ .
وَلَيْتَهُ فَعَلَ ، حَتَّى أَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِهِ وَهَدَايَتِهِ ، وَأَتَجَنَّبَ مَا أَخَافُ مِنْ
الخطأ والزلل ، فِي كِتَابٍ قَالَ فِيهِ أَبُو عَمْرِو الزَّاهِدُ ، غَلَامٌ ثَلَبَ : « قَابَلْتُ
هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَوْلَاهِ إِلَى آخِرِهِ ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ حَرْفًا خَطَأً فِي نَحْوِ
أَوْ لَفَةٍ » . وَأَنِّي لَمَثَلِي أَنْ يَحْتَقِقَ كَلِمَةَ أَبِي عَمْرِو فِي كِتَابِ أَبِي جَعْفَرِ !

ونحن أهل زمانٍ أوتوا من العجز والتهاون ، أضعافَ ما أوتي أسلافهم
من الجدِّ والقدرة !

فتفضل أخى أن ينظرُ في أسانيد أبي جعفر ، وهى كثيرة جدًّا ،
فيتكلم عن بعض رجالها ، حيثُ يتطلب التحقيق ذلك ، ثم يخرج جميع
ما فيه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن وجدَ بعد ذلك
فراغًا نظرَ فى عملى وراجعهُ واستدرك عليه . فشكرتُ له هذه اليدَ التى
طوتنى بها ، وكم له عندى من يدٍ لأملك جزاءها ، عند الله جزاؤها
وجزاء كلِّ معروفٍ . وحسبهُ من معروفٍ أنه سدَّ خُطايَ صغيرًا ،
وأعانتى كبيرًا .

وتوليتُ تصحيحَ نصِّ الكتاب ، وضبطه ، ومقابلته على ما بين أيدينا
من مخطوطاته ومطبوعاته ، ومراجحته على كتب التفسير التى نقلت عنه .
وعلقتُ عليه ، وبيّنتُ ما استغلقَ من عبارته ، وشرحتُ شواهدهُ من
الشعر . وبذلتُ جُهدى فى ترقيبه وتفصيله . فكلّ ما كان فى ذلك من
إحسانٍ فمن الله ، وكلّ ما فيه من زللٍ فمَنى ومن عجزى ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله .

والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبرى ، لا تكادُ تُوجد ، والذى
مِنها فى دار الكتب أجزاء مفردة من الجزء الأوّل ، والجزء السادس
عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت فى خمسة وعشرين مجلدًا ضاع منها
الجزء الثانى والثالث ، وهى قديمةٌ غير معروفة التاريخ . وهى على ما فيها
تكادُ تكون أصحَّ النسخ . وهى محفوظة بالدار برقم : ١٠٠ تفسير .

فجعلتها أما لنشر هذا الكتاب. أما سائر المخطوطات فهي سقيمة رديئة ،
لم تنفع في كثير ولا قليل ، فضلاً عن أنها قطع صغيرة منه .

فهبتُ نهجاً آخر في تصحيح هذا التفسير ، وذلك بمراجعة ما فيه
من الآثار على كتاب « الدرّ المنثور » للسيوطي ، « وفتح القدير »
للشوكاني ، فوما يكثران النقل عن تفسير أبي جعفر . أما ابن كثير في
تفسيره ، فإنه لم يقتصر على نقل الآثار ، بل نقل بعض كلام أبي جعفر
بنصّه في مواضع متفرقة ، وكذلك نقل أبو حيان والقرطبي في مواضع
قليلة من تفسيريهما . فقابلتُ المطبوع والمخطوط من تفسير أبي جعفر على
هذه الكتب . وكنت في هذا الجزء الأوّل من التفسير أذكر مرجع
كل أثر في هذه الكتب ، ثم وجدتُ أن ذلك يطيل الكتاب على
غير جدوى ، فبدأت منذ الجزء الثاني أغفل ذكر المراجع ، إلا عند
الاختلاف ، أو التصحيح ، أو غير ذلك مما يوجب بيان المراجع .

وراجعتُ كثيراً مما في التفسير من الآثار ، على سائر الكتب التي
هي مظنة لروايتها ، وبخاصة تاريخ الطبري نفسه ، ومن في طبقة من
أصحاب الكتب التي تروى الآثار بالأسانيد . وبذلك استطعتُ أن أحرّر
أكثرها في الطبري تحريراً أرجو أن يكون حسناً مقبولاً .

أما ما تكلم فيه من النحو واللغة ، فقد راجعته على أصوله ، من
ذلك « تجاز القرآن » لأبي عبيدة ، « ومعاني القرآن » للفراء ، وغيرها
ممن يذكر أقوال أصحاب المعاني من الكوفيين والبصريين .

وأما شواهدُه فقد تبعتُ ما استطعتُ منها في دواوين العرب ، ونسبت

ما لم يكن منها منسوبا ، وشرحتها ، وحققت ما يحتاجُ إلى تحقيق من قصائدها ، مختصراً في ذلك ما استطعت .

وقد رأيتُ في أثناء مراجعاتي أن كثيراً ممن نقل عن الطبري ، ربما أخطأ في فهم مراد الطبري ، فاعترض عليه ، لما استعلق عليه بعضُ عبارته . فقيدت بعض ما بدا لي خلال التعليق ، ولم أستوعب ذلك استيعاباً مخافة الإطالة ، وتركت كثيراً مما وقفتُ عليه من ذلك في الجزء الأول ، ولكنني أرجو أن أستدرك ما فاتني من ذلك في الأجزاء الباقية من التفسير إن شاء الله ربنا سبحانه .

وبينتُ ما وقفتُ عليه من اصطلاح النحاة القدماء وغيرهم ، بما استعمله الطبري ، وخالفه النحاة وغيرهم في اصطلاحهم ، بعد ذلك ، إلى اصطلاح مُستحدث . وربما فاتني من ذلك شيء ، ولكنني أرجو أن أبين ذلك فيما يأتي من الأجزاء . وقد وضعتُ فهرساً خاصاً بالمصطلحات ، في آخر كل جزء ، حتى يتيسر لطالب ذلك أن يجد ما استبهم عليه من الاصطلاح في موضع ، في جزء آخر من الكتاب .

وكنتُ أحبُّ أن أبين ما انفرد به الطبري من القول في تأويل بعض الآيات ، وأشرح ما أغفله المفسرون غيره ، ولكنني خفتُ أن يكون ذلك سبباً في زيادة الكتاب طولاً على طوله ؛ مع أني أرى أن هذا أمرٌ يكشف عن كتاب الطبري ، ويزيدنا معرفة بالطبري المفسر ، وبمنهجه الذي اشتقّه في التفسير ، ولم يختلف المفسرون من بعده ، فأغفلوا ما حرصَ هو على بيانه ؟

وكنْتُ أحبُّ أيضاً أن أسهّل على قارى كتابه ، فأجل في آخر
 الآياتِ المتسبعة التي انتهى من تفسيرها ، مُلخّصاً يجمَع ما تفرّق في عشراتٍ من
 الصفحاتِ . وذلك أُنَى رأيتُ نفسى قديماً ، ورأيتُ المُفسّرين الذين نقلوا عنه ،
 كانوا يقرأون القطعة من التفسير مفصولةً عمّا قبلها ، أو كانوا يقرأونه متفرّقا .
 وهذه القراءةُ ، كما تبيّن لي ، كانت سبباً في كثيرٍ من الخلط في معرفة مُرادِ
 الطبرى ، وفي نسبة أقوالٍ إليه لم يقلها . لأنّه لما خاف التكرار لطول الكتابِ ،
 اقتصر في بعض المواضع على ما لا بدّ منه ، ثقةً منه بأنّه قد أبان فيما مضى من
 كتابه عن نهجه في تفسير الآيات المتصلة المعاني . والقارى الملتبس لمعنى آيةٍ من
 الآياتِ ، ربّما غفل عن هذا الترابط بين الآية التي يقرأها ، والآيات التي سبقَ
 للطبرى فيها بيانٌ يتصل كل الاتصال ببيانه عن هذه الآية . ولكنى حين
 بدأتُ أفعل ذلك ، وجدت الأمر شاقاً عسيراً ، وأنه يحتاجُ إلى تكرار
 بعض ما مضى ، وإلى إطالةٍ في البيان . وهذا شيءٌ يزيدُ التفسيرَ طولاً وضخامةً .
 ولما رأيتُ أن كثيراً من العلماء كان يعيبُ على الطبرى أنه حشدَ في
 كتابه كثيراً من الرواية عن السالفين ، الذين قرأوا الكتبُ ، وذكروا
 في معاني القرآن ما ذكروا من الرواية عن أهل الكتابين السالفين :
 التّوراة والإنجيل — أحببتُ أن أكشف عن طريقة الطبرى في الاستدلال
 بهذه الرواياتِ روايةً روايةً ، وأبين كيف أخطأ الناسُ في فهم مقصده ،
 وأنه لم يجعل هذه الروايات قطّ مهيمنةً على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل
 من يديه ولا من خلفه . وأحببتُ أن أبين عند كلّ روايةٍ مقالة الطبرى في
 إسنادها ، وأنه إسنادٌ لا تقوم به حُجّةٌ في دين الله ، ولا في تفسير كتابه ،

وأن استدلاله بها كان يقوم مقام الاستدلال بالشعر القديم ، على فهم معنى كلمة ، أو للدلالة على سياق جملة . وقد علفتُ في هذا الجزء ١ : ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، وغيرها من المواضع تعليقاً يبينُ عن نهج الطبري في الاستدلال بهذه الآثار ، وتركتُ التعليقَ في أما كنَ كثيرة جداً ، اعتماداً على هذا التعليق . ورأيتُ أن أدعَ ذلك حتى أكتب كتاباً عن « الطبري المفسر » بعد الفراغ من طبع هذا التفسير . لأنني رأيتُ هناك أشياء كثيرة ، ينبغي بيانها ، عن نهج الطبري في تفسيره . ورأيتني يحدُّ لي كلَّ يوم جديدٌ في معرفة نهجه ، كلما زدتُ معرفةً بكتابه ، وإلغاً لطريقته . فاسأل الله أن يعينني أن أفردَ له كتاباً في الكلام عن أسلوبه في التفسير ، مع بيان الحجّة في موضع موضع ، على ما تبين لي من أسلوبه فيه . ورحمَ الله أبا جعفر ، فإنه ، كما قال ، كان حدّث نفسه بهذا التفسير وهو صبيٌّ ، واستخار الله في عمله ، وسأله العونَ على ما نواه ، ثلاثَ سنين قبل أن يعمله ، فأعانه الله سبحانه . ثم لما أراد أن يعلى تفسيره قال لأصحابه : أنتشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفتنى فيه الأعمارُ قبل تمامه ! فاخصره لهم في ثلاثة آلاف ورقة . فكان هذا الاختصار سبباً في تركه البيانَ عما نجتهد نحنُ في بيانه عند كل آية . وهذا الاختصارُ بينٌ جداً لمن يتتبع هذا التفسير من أوله إلى آخره .

هذا وقد كنتُ رأيتُ أن أكتب ترجمةً للطبري أجعلها مقدّمةً للتفسير . ولكنني وجدت الكتابة عن تفسيره في هذه الترجمة ، لن تيسر لي

إلا بعد الفراغ من كتابه ، وكشف النقاب عما استبهم من منهاجه في تفسيره . فأعرضتُ عن ذلك ، وقلت أجمع ترجمة للطبرى ، فجمعتُ كُلَّ ما في الكتب المطبوعة والمخطوطة من ترجمة وأخبار ، وما قيل في تصانيفه وتمدادها ، فإذا هي قد تجاوزت ما يمكن أن يكونَ ترجمةً في صدر هذا التفسير ، فأثرتُ أن أفردها كتاباً قائماً بنفسه ، سوف يخرجُ قريباً بعون الله سبحانه .

أما الفهارسُ ، فإنِّي كنتُ أريدُ أن أدعها حتى أفرغَ من الكتاب كُلِّه ، فأصدرها في مجلداتٍ مستقلة ، ولكن الكتابَ كبيراً ، وحاجةُ الناسِ ، وحاجتي أنا ، إلى مراجعة بعضه على بعض ، وربط أوله بآخره أوجبتُ أن أتعجّل فأفرد بعض الفهارس مع كُلِّ جزء . فجمعتُ فهرساً للآيات التي استدلتُ بها في غير موضعها من التفسير . فقد تبين لي أنه ربّما ذكر في تفسير الآية في هذا الموضع ، قولاً في الآية لم يذكره في موضعها من تفسير السورة التي هي منها .

وأفردتُ فهرساً ثانياً لألفاظ اللغة ، لأنه كثير الإحالة على ما مضى في كتابه ، وليكون هذا الفهرس مرجعاً لكل اللّغة التي رواها الطبرى ، وكثير منها مما لم يرد في المعاجم ، أو جاء بيانه عن معانيها أجودَ من بيان أصحاب المعاجم . وهو فهرسٌ لا بُدَّ أن يتم عند كُلِّ جزء ، حتى لا يسقط على شيء من لغة الطبرى .

وأفردتُ فهرساً ثالثاً لمباحث العربية ، لأنه كثيراً ما يميلُ على هذه المواضع ، ولأنّ فيها نفماً عظيماً تبينتهُ وأنا أعلم في هذا التفسير . وزدت

فهرساً رابعاً للمصطلحات القديمة التي استحدثت الناس غيرها ، ليسهل على قارئ كتابه أن يجد تفسيرها في موضعها ، فإنني لم أفسرها عند كل موضع ذكرت فيه ، لكثرة تكرارها في الكتاب . وفهرساً خامساً ، هو رده على الفرق وأصحاب الأهواء .

وأفردت فهرساً سادساً للرجال الذي تكلم عنهم أخي السيد أحمد في المواضع المتفرقة من التفسير ، حتى يسهل على من يريد أن يحقق إسناداً أن يجد ضالته . فإنه حفظه الله ، لم يلتزم الكتابة على الرجال عند كل إسناد . وهذا فهرس لا بد منه مع كل جزء حتى لا تتكرر الكتابة على الرجال في مواضع مختلفة من الكتاب ، ولتصحيح أسماء الرجال حيث كانوا من التفسير .

أما الفهرس العام للكتاب ، فقد اقتصر فيه على ذكر ما سوى ذلك ، ولم أذكر فيه بدءاً في تفسير كل آية ، لأن آيات المصحف مرقمة ، وأثبتنا أرقام الآيات في رأس الصفحات . فمن التمس تفسير آية ، فليستخرج رقمها من المصحف ، وليطلب رقمها في تفسير الطبري من رؤوس الصفحات .

• • •

هذا ، وقد تركت أن أصنع للشعر فهرساً مع كل جزء ، فإنني سأجمل له فهرساً مفرداً بعد تمام طبع الكتاب ، على نمط اخترته لصناعته . وأما فهارس الكتاب عامة ، فتكون بعد تمام الكتاب كله . وهي تشمل فهارس أسانيد الطبري ، على طراز أرجو أن أكون موفقاً في اختياره وعمله . ثم فهرس الأعلام ، وفهرس الأماكن ، وفهرس المعاني ،

والفهارس الجامعة لما أفردته من الفهارس مع كلِّ جزء . وهذا شيء لا بُدَّ
منه ، لضبط ما في التفسير من مناحي العلم المختلفة ، وليتيسر على الطالب أن
يجد بُقيته حيث شاء من كتاب الطبري ، لأنه كثير الإحالة في كتابه
على ما مضى منه .

• • •

وبعد ، فقد بذلتُ جهدي ، وتحريتُ الصوابَ ما استطعتُ ،
وأردتُ أن أجعلَ نشرَ هذا الكتابِ الإمامِ في التفسير ، زُلْفَى إلى الله
خالصةً . ولكن كيف يخلصُ في زماننا عملٌ من شائبة تشوبه ! فأسألُ
الله أن يتقبَّلَ مني ما أخلصتُ فيه ، وأن يفر لي ما خالطه من أمرٍ
هذه الدنيا ، وأن يتغمدني برحمته يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونٌ ، إلا
من أتى الله بقلبٍ سليمٍ . وأضرع إليه أن يفر لنا وإخواننا الذين
سَبَقُونَا بالإيمان ، وآخرُ دَعْوَانَا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين .

محمود محمد شاكر